المؤرخ وليـــام الصورى

للدكتور عمر كمال توفيق

كان لوليام رئيس أساقفة كنيسة صور ، أهميته كرجل من كبار رجال الكنيسة الكاثوليكية فى الشرق ، كما كانت له مكانته المرموقة بين رجال الدولة المسئولين فى مملكة بيت المقدس الصليبية . الا أن شهرته فى العصور التالية لعهده قد قامت على أساس انجازاته كمؤرخ ، هذا بالرغم من ضياع بعض مؤلفاته فى التاريخ . ومهما يكن من أمر فإن تاريخه الكبير الذى وصل إلى أيدينا والذى اشتهر باسم :

"Historia rerum in partibus transmarinis gestarum"

أى «تاريخ الأعمال التى تمت فى بلاد ماوراءالبحر» يحتل مكانة عظيمة الأهمية بين مصادر تاريخ الحروب الصليبية . وقد جرى العرف على اعتبار كتاب وليام المذكور الأصل الذى تفرع منه أدب الحروب الصليبية ، مع اعتبار ان الجذور وجدت فيما سبقه من المؤلفات ، وان الفروع كانت الكتب التى وضعها المؤرخون اللاحقون مع عدم ذكر أسمائهم واعتبروها ملاحق أو مذيلات على تاريخ وليام (١) .

والواقع ان محاولة دراسة حياة وليام وتكوين صورة كاملة لها ليس أمراً سهلا . وقد تطلب هذا العمل جهود عديد من العلماء ، بدأت من القرن السادس عشر واستمرت حتى يومنا هذا . (٢) وترجع هذه الصعوبة

---

(١) أنظر J. L. La Monte "Some Problems in Crusading Historiography Speculum, xv (1940), 60.

(٢) أنظر : قائمة الدراسات المختلفة عن وليام الصورى فى William of Tyre, History of Deeds Done Beyond The Sea (Trans. E. A. Babcock & A.C. Krey, New-york, 1943), vol. I, p.p. 5-6.

للنقص فى المعلومات التاريخية التى جاءت عن حياته ، الأمر الذى اضطر الباحثين للاعتماد إلى حد كبير على الشذرات والاشارات المحدودة التى جاءت فى التاريخ الذى وضعه .

ولد وليام فى مملكة بيت المقدس الصليبية حوالى سنة ١١٣٠ م . والظاهر أن نشأته كانت فى مدينة بيت المقدس نفسها . ومن المحتمل أن أبويه كانا قد نزحا من احدى بلاد غرب أوربا ، ولو أننا لا نستطيع أن نجزم برأى نهائى فى ذلك (١) . فإن وليام الذى وضع فى تاريخه أنساب الآخرين وأصولهم لم يدل بشىء عن عائلته وأصلها . ولكن تدل الشواهد على أن وليام أمضى السنوات الأولى من حياته فى فلسطين ، والمرجح أنه استقر به المقام فى بيت المقدس . فإن ما رواه عن صباه عرضاً ، إنما يتركز بأكمله فى هذه المدينة ، التى يظهر من تاريخه معرفته الوثيقة بشوارعها وميانيها المختلفة . وقد أتاحت له معيشته فى هذه الانحاء الفرصة لكى يتقن عدداً من اللغات . فألم بالفرنسية وهى لغة البلاط الصليبى ، والعربية التى كانت تستعمل بكثرة فى محيط التبادل التجارى إلى جانب اللغة الفرنسية . ويظهر كذلك أن وليام كانت له دراية باللغة اليونانية التى انتشر استعمالها فى الشرق بحكم صلة الجوار المباشر مع الامبراطورية البيزنطية التى كانت لها اتصالات متنوعة مع الصليبيين وشعوب الشرق الأدنى الاسلامى . وفضلا عن ذلك فيبدو أن وليام كان على الأقل على بعض العلم بلغات أخرى مثل العبرية والفارسية . وكانت اللاتينية بطبيعة الحال هى لغة الكنيسة والمدارس فى المملكة اللاتينية . وان إتقان وليام الواضح لهذه اللغة مما يشهد بأنه تلقى تعليما ممتازاً .

وقرر وليام ، على ما يبدو ، منذ مرحلة مبكرة فى حياته العمل فى السلك الكنسى . ويتضح من تاريخه أن الشخصية الرئيسية التى أثرت فيه فى صباه كان بطرس البرشلونى الذى كان يشغل منصب رئيس الرهبان المنحقين

---

(١) بخصوص مناقشة الآراء المختلفة فى أصل أسرة وليام انظر المرجع السابق ج ١ ص ٨

بكنيسة الضريح المقدس من سنة ١١٣٠ إلى سنة ١١٥٨ م ، أى الزمن الذى يرتبط بالسنوات الخمس والعشرين الأولى من حياة وليام . وكان المعهد الدينى الذى رأسه بطرس مختصاً باعداد القساوسة وتعليمهم . وأظهر وليام حينئذ من المثابرة والشغف بتحصيل العلم ما قر به من أساتذته وخاصة بطرس السالف الذكر .

ولابد أن وليام وجد فى بيت المقدس فرصة طيبة لتلقى تعليمه الدينى . فقد تجمع هناك عدد من العلماء الذين كانوا فى غالبيتهم من الزائرين الذين توافدوا من غرب أوربا لقضاء فريضة الحج والعودة بعدها . كما كان منهم المتقدمون فى العمر الذين جاءوا إلى هذه البلاد عاقدين العزم على قضاء ما تبقى من حياتهم فى الأراضى المقدسة تيمناً بها . وقد ضمت الاديرة عدداً من الأفذاذ المشتغلين بالعلم مثل جيوفرى رئيس معبد السيد المسيح الذى اكتسب شهرة لتعمقه فى دراسة اللغة اليونانية . وهكذا أتيحت الفرصة لوليام الصورى لكى يستفيد من هؤلاء العلماء سواء أكان ذلك بالاختلاط بهم فى الأديرة أو المنظمات الكنسية أو أثناء التردد على الأضرحة المختلفة وزيارتها . ولا بد أن بطرس البرشلونى قد تولى الاشراف على تعليم تلميذه وليام وتوجيهه .

ومن المعروف أن وليام بعد أن قطع مرحلة طيبة من التعليم والاعداد اللازم ، أصبح من رجال الكهنوت التابعين لرئيس اساقفة كنيسة صور . ويتضح ذلك من احدى الوثائق المؤرخة فى سنة ١١٦١ م ، ولو أن المصادر لم تبين على وجه الدقة متى تم ذلك . هذا وقبل أن تبدأ سنة ١١٦٣ م ، قرر وليام عبور البحر الأبيض المتوسط والذهاب إلى غرب أوربا ليواصل دراسته هناك ، الأمر الذى اشار اليه إشارة عابرة فى تاريخه (١) . وكان حينئذ فى بداية العقد الرابع من عمره . والمرجح انه أثناء اقامته فى الغرب اهتم بشكل خاص بدراسة القانون ، الذى أصبح أمراً لازماً لمن يهيأ لشغل منصب دينى

---

(١) المرجع السابق ج ٢ ص ٣٠١

كبير ، وذلك لازدياد أعباء رجال الدين وتشعب مسئولياتهم(١) . ومن المؤكد أن وليام كان لا يزال يتابع دراسته فى الغرب عندما أعتلى الملك عمورى عرش بيت المقدس . وكانت عودة وليام إلى البقاع المقدسة فى خريف سنة ١١٦٣ م على وجه التقريب .

ولا يعرف الكثير عن تفاصيل حياة وليام فى السنوات الأربع التى تلت عودته إلى المملكة الصليبية . ونكن من المعروف أن أستاذه بطرس الذى أصبح رئيساً لاساقفة كنيسة صور قد مات ، وتلاه فى منصبه رجل يعرف باسم فريد ريك ، لم يكن على شاكلته ، ولم تكن علاقة وليام به طيبة. ويظهر أن عمل وليام اقتصر فى ذاك الوقت على أداء الواجبات العادية التى يقوم بها رجل الكنيسة . وربما اختص بالجانب القانونى من أعمالها ، هذا فى الوقت الذى أخذ يتطلع فيه ليصبح رئيساً لاساقفة أحدى الكنائس الهامة أو بطريرك المملكة الصليبية .

ومنذ سنة ١١٧٦ م ، بدأ وليام مرحلة جديدة من حياته أخذت أسهمه فيها فى الارتفاع ، وكان ذلك على أثر بداية أرتباطه بخدمة عمورى . فإن هذا الملك كان شغوفاً بقراءة التاريخ مهتماً بمتابعته . وقد أراد أن يسجل عهده وأحداثه خاصة وأنه اختمرت فى ذهنه فكرة فتح البلاد المصرية ، الأمر الذى يعد بالنسبة للصليبيين أكبر مشروع لهم بعد الاستيلاء على بيت المقدس وإقامة المملكة الصليبية فى الشام . وهكذا فقد اراد عمورى أن يسجل له التاريخ ما يحققه من أمجاد . وعلى ذلك قرر أن يختار رجلا كفؤا يكلفه بكتابة تاريخه ، وقد وقع اختياره على وليام ، وكان موفقاً فى هذا الاختيار. حقيقة أن وليام لم يتلق فيما سبق التدريب اللازم للمؤرخ ، الا أنه كان يزر كثيرين من أقرانه من رجال الكنيسة فى القدر الذى ناله من التعليم . كما عرف عنه أسلوبه الأدبى الرفيع والالمام بعده لغات . والظاهر أن وليام كان متردداً فى أول الأمر فى الاضطلاع بهذه المهمة الجديدة خشية أن يحيد عن هدفه

(1) A. C. Krey, "The Making of An Historian In The Middle Ages" Speculum, xv 1 (1941), 149-66.

الأصلي وهو الترقي في سلك الكهنوت . ومهما يكن من أمر فقد قبل هذا العمل ، وعينه عموري رئيساً لشمامسة كنيسة صور ، كما خصص له راتباً أكبر من الراتب المعتاد الذي يتقاضاه من يشغل هذا المنصب .

وهكذا بدأ وليام وهو في مرحلة منتصف العمر عمله كمؤرخ . وقد اقبل على ذلك بكل حماسة ونشاط وتقدير للمسئولية الكبيرة الملقاة على عاتقه. وقد واصل نشاطه في كتابة التاريخ بشكل شبه مستمر منذ سنة ١١٦٧ وهي السنة التي بدأ فيها حتى سنة ١١٨٤ م وهي التي توقف فيها عن الكتابة قبيل موته . الا أن عمل وليام ، في هذه المرحلة من حياته لم يقتصر على كتابة التاريخ فقد عهد اليه المسئولون بالمملكة الصليبية بمهام أخرى كذلك . الا أن هذه المهام ، وان كانت قد اضافت إلى ما تحمله من اعباء ، فانها جعلته على اتصال وثيق بأحداث المملكة الصليبية وأخبارها . فعلى أثر الاتصال بين وليام وعموري ، ازداد تقدير الأخير لمؤرخه ، حتى انه لما بدأ في التفاوض مع الامبراطور البيزنطي بغرض القيام بحملة مشتركة لغزو مصر ، أرسل عموري وليام إلى القسطنطينية لاتمام عقد الاتفاقية الصليبية البيزنطية . وقد أتاحت هذه المهمة لوليام فرصة التعرف عن كثب على عاصمة الامبراطورية البيزنطية . ونجح في مهمته هذه . كما أن وليام اضطرته بعض المسائل الكنسية للسفر إلى روما عقب ذلك . وافادته اقامته هناك في معرفة البلاط البابوي وسياسته . وللنجاح الذي احرزه وليام في أكثر من عمل ، ازدادت ثقة عموري به حتى لقد كلفه سنة ١١٧٠ بتعليم ابنه وولي عهده بولدوين الذي كان في التاسعة من عمره . وأصبحت رعاية هذا الأمير الصغير إحدى مسئوليات وليام ، الذي ازدادت له بذلك فرص الاتصال بالملك وحاشيته واستقاء المعلومات عن أحداث الدولة التي كان يؤرخها . وفي نفس الوقت نشأ بين وليام والأمير بولدوين تعاطف وتقدير متبادل ظهرت نتائجه بعد اعتلاء الأخير للعرش.

وفي سنة ١١٧٤ م ، مات الملك عموري ، وله من العمر ثمان واربعون سنه ، وفقد وليام بذلك صديقاً عزيزاً عليه . كما أن خلفه وهو بولدوين

الرابع ، تلميذ وليام ، لم يكن قد بلغ بعد سن الرشد ، إذ كان لا يزال فى الثالثة عشرة من عمره . ولم يكن بولدوين قد أتم تعليمه كما كان ضعيفاً جسمانياً لاصابته بالجذام . ونتيجة لذلك فقد استأثر بالسلطة والاشراف على شئون المملكة أحد النبلاء الصليبيين وهو ميلون دى بلانسى ، الذى عده وليام أسوأ مستشارى الملك الراحل . الا أن هذا الأمير قد اغتاله بعض اعدائه فى خريف نفس السنة . (١) ووقع الاختيار بعد ذلك على ريموند الثالث أمير طرابلس ليكون وصياً على الملك . وقد عين هذا الأمير مؤرخنا وليام الصورى مستشاراً للمملكة . (٢) وتبع ذلك تنصيبه رئيساً لأساقفة كنيسة صور فى ٦ يونيو ١١٧٥ م . وهكذا أصبح لوليام مركزاً هاماً فى شئون كل من الدولة والكنيسة فى المملكة الصليبية . وفضلا عن ذلك فعندما بلغ بولدوين الرابع السن القانونى لمباشرة سلطته سنة ١١٧٦ ، انتهت وصاية ريموند ، وصار وليام المستشار الأول للملك .

وأصبح من المتوقع إذذاك أن وليام سيخلف أمالريك الذى اشتد به المرض ، فى المنصب الدينى الأكبر فى المملكة ألا وهو منصب بطريرك بيت المقدس . وكان هذا هو الأمل الأكبر لوليام الذى بدأ حياته على أساس الخدمة والترقى فى سلك الكهنوت . وكان من البوادر التى أظهرت ذلك تعيين وليام على رأس الوفد الدينى الذى أرسل إلى روما سنة ١١٧٨م بناء على دعوة البابا (٣) . وقد وفق وليام فى مهمته ولفت نظر البابا بكفاءته ونشاطه حتى لقد كلفه بمهمة خاصة فى القسطنطينية ، والمرجح أنها تعلقت بموضوع محاولة التوحيد بين كنيستى روما والقسطنطينية ، الأمر الذى لابد وقد شجعته ميول الامبراطور مانويل اللاتينية .

---

(١) William of Tyre, op. cit, II, 401

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٤٠٢ – ص ٤٠٤

(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ٤٣٦

الا أن وليام على أثر عودته إلى المملكة الصليبية (حوالى سنة ١١٨٠) قد أصيب بخيبة أمل فيما يتعلق بالحصول على منصب البطريرك ، كما أن نفوذه السابق أخذ فى الضعف والاضمحلال . إذ أن تدهور صحة الملك بولدوين أدى إلى إثارة موضوع تعيين وصى على العرش . وقد اختلف نبلاء المملكة فى ذلك وقامت جماعتان متنافستان ، الأولى وتتكون من الأمراء القدامى وعلى رأسهم ريموند أمير طرابلس ، والأخرى وهى جماعة البلاط وأهم شخصياتها الأميرة سيبيلا أخت بولدوين ووريثة العرش وزوجها جي لوسنيان المغامر الفرنسى والملكة الأم أجنس . وكانت تلك الجماعة الأخيرة تعتمد على مجموعة من النبلاء الغربيين حديثى العهد بالأراضى المقدسة ، وتمكنت هذه الجماعة من التغلب والاستئثار بالسلطة . وحيث أن وليام كان معروفاً بانضمامه لريموند ومعارضته لجي لوسنيان ، فلم يجد معاملة حسنة من جانب المتسلطين الجدد . وهكذا فعندما مات البطريرك أمالريك فى ٦ اكتوبر سنة ١١٨٠ م ، تخطت جماعة البلاط وليام بالرغم من كفاءته المعروفة ، وعينت هرقليوس رئيس أساقفة قيسارية فى المنصب الشاغر (١) . وهكذا أغلق دون وليام باب الترقى فى السلك الكنسى فى المملكة . وفضلا عن هذا فبالرغم من أنه من الناحية الرسمية كان لا يزال مستشار المملكة فإنه عومل بإهمال وأصبح لا يعرض عليه من الأمور الا القليل النادر وفى المناسبات الضرورية . وهكذا فبعد أن كان فى سنة ١١٧٨ أكثر موظفى المملكة نفوذاً فإنه بعد عودته إلى بلاده كاد أن يصبح مسلوب السلطة والنفوذ .

ولم يكن وليام راضياً عن أحداث المرحلة الأخيرة من حياته . ففى الوقت الذى هدد فيه الصراع الداخلى بين جماعتى البلاط والنبلاء القدامى بتصدع وحدة المملكة الصليبية ، كان السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى يقوم بتجميع قوى المسلمين ويعد العدة للمعركة الفاصلة ضد الصليبيين . ونحن لا نعرف على وجه التحديد تاريخ وفاة وليام . ويرى المؤرخ كرى أنها كانت

---

(١) المرجع السابق ج ٢ ص ٤٥١

قبل شهر مايو سنة ١١٨٥ م ، بناء على أن فى هذا التاريخ عين نائب وليام ليخلفه كمستشار مملكة بيت المقدس (١) . أما رانسمان فيقول أن وليام بعد فشله فى الحصول على منصب البطريرك اعتزل إلى روما سنة ١١٨٣ ومات هناك قبل سنة ١١٨٧ م (٢) . وعلى أية حال فقد كانت وفاة وليام فى العقد التاسع من القرن الثانى عشر الميلادى وكان ذلك قبيل حدوث موقعة حطين واسترجاع المسلمين لمدينة بيت المقدس .

ومهما يكن من أمر ، فان وليام بحكم المناصب التى شغلها والاعباء التى اضطلع بها قد اتيحت له فرصة طيبة لمعرفة بواطن الأمور فى المملكة الصليبية ودراسة أحوالها ومشاكلها . وقد مكنه ذلك كله من الاجادة فى كتابته التاريخية . والواقع أن كتابه الذى وصل إلى أيدينا والذى اشتهر باسم «تاريخ الأعمال التى تمت فى بلاد ما وراء البحر» جاء كثمرة نهائية لانتاجه التاريخى . وقد قام وليام أصلا بوضع ثلاثة كتب فى التاريخ ، وهى حسب الترتيب الزمنى فى تأليفها :

1) "Gesta Amalrici regis" أعمال الملك عمورى

2) "Gesta Hiersolymitanorum regum" أعمال مملكة بيت المقدس

3) "Gesta orientalium principum" أعمال الأمراء الشرقيين

وبشأن الكتاب الأول وهو «أعمال الملك عمورى» الذى شرع فى تأليفه بناء على رغبة الملك عمورى ، فلا ندرى عما اتخذه وليام من خطوات فى أول أمره ليلم بكيفية كتابة التاريخ . ولكن من المعروف أنه أخذ يستجوب قادة الصليبيين الذين اشتركوا فى الحملة الأولى التى قام بها عمورى على مصر ويستفسرهم عما شاهدوه من أحداث . كما أن وليام اعتنى بدراسة ما خلفه

(١) William of Tyre, vol. I, p. 52

(٢) S. Runciman, A History of The Crusades (Cambridge, 1952) vol. II p. 476

ومحصه جيداً . وإن وزنه للأمور إذ ذاك يذكرنا بعمل القاضي الدقيق . ويغلب على الظن انه كان يكتب نتائج بحثه بعد ذلك مباشرة . ومما يلاحظ في هذا المجال اهتمام وليام بإدراج عدد من المسائل المتعلقة بحملات عموري على مصر ، ومن أهمها خصائص البلاد المصرية وخصال أهلها . وقد أعطى صورة تفصيلية للحياة في بلاط الفاطميين في القاهرة بالشكل الذي وجدها عليه الصليبيون . هذا ولم يفت وليام أن يوضح أهمية مركز مدينة الاسكندرية ونشاطها التجاري (١) .

والظاهر أن اثناء محاولة وليام لوضع بداية تاريخ «أعمال الملك عموري» اتضحت له وللملك الحاجة إلى كتاب في التاريخ يوضح أحداث المرحلة السابقة لتاريخ مملكة بيت المقدس الصليبية، منذ أن توقف المؤرخ فولشير الشارتري حوالي سنة ١١٢٧ م . بل ان المؤلفات التاريخية السابقة أصبحت لا تكفي لاشباع رغبة الصليبيين في التعرف على أحوال بلادهم حينئذ . ويبدو أن عموري الشغوف بقراءة التاريخ ، ووليام المضطلع بالكتابة عن عصر عموري ، قد رأيا أنه من الضروري وضع كتاب آخر في تاريخ المملكة في عهدها السابق بدءا من أخريات القرن الحادي عشر . وشرع وليام في تصنيف هذا الكتاب الذي عرفه في ثنايا كتاباته باسم تاريخ «أعمال مملكة بيت المقدس» . ولابد أن مؤرخنا قد واجه في ذلك ما يواجهه المؤرخون الذين يحاولون الكتابة عن عهود سابقة . فقد اضطر للاعتماد في تصنيف الجزء الأول من الكتاب على مادونه المؤرخون السابقون . إلا أنه خالف غالبية مؤرخي العصور الوسطى في طريقة الاعتماد على المصادر السابقة . فهو لم يكتف بالاعتماد على مصدر واحد، بل كان يرجع عادة في معالجة الحدث الواحد إلى عدة مصادر ، ان توافرت، ويقارنها ثم يبدي رأيه الخاص إذا إقتضى الأمر ذلك. والمعروف أنه كانت تحت تصرفه المصادر الخاصة بتاريخ الحقبة السابقة مثل «أعمال الفرنجة» ومؤلفات ريموند الأجيلي وولتر

---

(١) بشأن وصف وليام للبلاد المصرية وأهلها انظر :

William Of Tyre, op. cit vol II, pp. 315-17, 319-20, 329-331, 335-337

المستشار وفولشير الشارتري . هذا وكان وليام حريصاً بقدر إمكانه في عدم تقبل الروايات ذات الطابع الاسطوري أو التي تغلب عليها صبغة المبالغة .

ولقد أحرز وليام تقدماً في كتابة التاريخين السابقي الذكر ، بالرغم من تحمله مسئولية تربية إبن الملك . هذا وقد عهد اليه عموري بعبء جديد في تدوين التاريخ . فإن هذا الملك أراد معرفة المزيد عن تاريخ المسلمين في عصورهم السابقة . ولابد أن عظمة الحضارة التي شاهدها في مصر عند قيامه بحملاته عليها ، قد حركت في نفسه الرغبة للتعرف على المزيد . ولذا فقد حث وليام على أن يكتب تاريخاً عن حكام الشرق وانجازاتهم منذ عصر النبي محمد حتى عهد وليام . ولكي يسهل عليه القيام بهذه المهمة أمده بعدد من الكتب العربية ؛ والمرجح أن هذه الكتب كانت أصلا من مكتبة الأمير العربي أسامة بن منقذ التي صادرها الملك بولدوين الثالث عندما غرقت المركب التي كانت تحملها على مقربة من مدينة عكا (١) . وقد نص وليام بالذات على استعانته بكتاب المؤرخ العربي سعيد بن البطريق . وفضلا عن ذلك فلابد أن وليام وجد في مدينة صور فرصة للحصول على المزيد من أخبار المسلمين وتاريخهم . فقد وجد في هذه المدينة في عصر وليام مساجد هامة يؤمها المسلمون وعلماؤهم . وأشار الرحالة إبن جبير الذي زار صور سنة ١١٨٤ م وامضى بها بعض الوقت ، إلى ما لاحظه بها من العلاقات والتعايش السلمي بين المسلمين والصليبيين (٢) . وكان هذا التاريخ الذي وضعه وليام عن المسلمين هو الذي عرف باسم «أعمال الأمراء الشرقيين» . الا أن هذا الكتاب قد فقد ولم يصل إلى أيدينا .

---

(١) تحدث اسامة عن استيلاء الصليبيين على مكتبة القيمة التي كانت ، طبقا لتقديره ، تتكون من اربعة الاف مجلد من الكتب الفاخرة ، وقد اعتبر فقدها خسارة كبرى فقد كتب في ذلك : «فان ذهابها حزازة في قلبي ما عشت» .

انظر : اسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار . (ت. فيليب حتى. الولايات المتحدة ، ١٩٣٠) ص ٣٤ — ص ٣٥ .

(٢) رحلة ابن جبير (ت. حسين نصار . القاهرة ، ١٩٥٥) من ٢٩٤ — ص ٢٩٦ .

ومهما يكن من أمر ، فنى سنة ١١٨٢ م ، ووليام فى السنوات الأخيرة من عمره ، كان كتابه «أعمال مملكة بيت المقدس» قد أوشك على الانتهاء ليكون بداية لكتاب «أعمال الملك عمورى» . وقد قرر وليام حينئذ ادماج الكتابين ليكونا كتاباً واحداً جامعاً فى تاريخ مملكة بيت المقدس ، وشرع فى تنفيذ ذلك. وكان هذا الكتاب الجديد هو الذى عرفه المؤرخون فيما بعد باسم «تاريخ الأعمال التى تمت فى بلاد ما وراء البحر» . وقد تبين وليام وهو فى مرحلة تصنيف هذا الكتاب الأخير ، الذى أراد أن يجعله مرجعاً للمسيحيين عامة للتعرف على تاريخ المملكة الصليبية ، ضرورة إضافة بعض المعلومات إليه . ولذا تخير له بعض الأجزاء من كتاب «أعمال الأمراء الشرقيين» . كما ادرج شيئاً عن تاريخ بيت المقدس منذ سقوطها فى أيدى الفرس سنة ٦١٤م حتى التبشير بالحملة الصليبية الأولى لاسترجاعها فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى . هذا وقد زود وليام هذا الكتاب الجديد بعدة فقرات عن المعارف الجغرافية والأثرية . ولابد أنه عند قراءة بعض الموضوعات التى دونها من قبل قد أعاد كتابتها على ضوء معلوماته وخبرته النامية . وفضلا عن ذلك كله ، فإنه دبج مقدمة قيمة لهذا الكتاب سنة ١١٨٤ م . والمرجح أن هذه المقدمة كانت آخر ما أضافه وليام إلى كتابه الذى سجل أهم أحداث عصره حتى السنة المذكورة .

ونحن إذا أردنا الحكم على عمل وليام كمؤرخ ، فمن أول مايستلفت النظر فى هذا الصدد هو هذا التقدم الملحوظ الذى أحرزه هذا الرجل فى نهج الكتابة التاريخية مع ممارسة هذا العمل . فمع مرور الوقت إزدادت قدرته على نقد المصادر وتمحيصها ، كما أصبح أكثر اهتماماً بالجوهر دون التفاصيل . هذا وإذا كان وليام فى أول الأمر لما أمسك بقلمه ليكتب التاريخ ، يعمل على تلبية رغبة مليكه عمورى الذى كان يرغب فى تمجيد حكمه ، فإنه بعد موت هذا الملك قد تغيرت مكانة وليام فى المملكة الصليبية وتغيرت بالتالى طريقة معالجته للتاريخ . فبعد أن أصبح مستشاراً للملك الجديد ، ازداد شعور وليام بالمسئولية واتضح ذلك فى كتاباته . وأصبح يقصد من ورائها نوعاً من

التوجيه والارشاد فى شئون الدولة . ثم أن بعد أن تغلبت جماعة البلاط واستأثرت بالسلطة ، وضعف على أثر ذلك نفوذ وليام ، عدل مؤرخنا فى أسلوبه فى الكتابة . إذ أصبح يكتب للمسيحيين الكاثوليك عامة ، بغرض العمل على خدمة مصالح المملكة التى ينتمى اليها الا وهى مملكة بيت المقدس الصليبية ، وتأمين بقائهما . وقد وضع فى كتابه كل ما اكتسبه من دراية وخبرة للافادة .

وكان وليام يميل للنزاهة والانصاف فى كتابته وأحكامه . وبصفة عامة نستطيع أن نقول انه لم يخضع للتعصب العنصرى أو الدينى أو الطبقى على النحو الذى حدث لغالبية الكتاب الاوربيين المعاصرين . وقد قام فى عدة مواضع بامتداح أفراد من اللاتين والبيزنطيين بل كذلك المسلمين ومثال ذلك وصفه للملك العادل نور الدين محمد بأنه رجل حكيم فطن (١) . فكان وليام على استعداد للاعتراف بمميزات المسلمين وما قام به بعضهم من أعمال مجيدة . كما أظهر وليام اهتمامه ببيان مظاهر الحياة اليومية والصناعات والعمارة والحياة الاجتماعية ، هذا إلى جانب المسائل العسكرية والكنسية والدبلوماسية وسائر شئون الدولة .

ولقد تبوأ وليام بفضل كتاباته مكانة مرموقة بين المشتغلين بالأدب اللاتينى فى العصور الوسطى . وتميز أسلوبه بالتزام الدقة فى مراعاة قواعد النحو ، كما كان يتمتع بثروة لغوية كبيرة . ويدل تاريخ وليام على إلمامه بالأدب الكلاسيكى وتذوقه له . ويتضح هذا بشكل خاص فى الاجزاء التى وضعها فى سنواته الأخيرة . وقد اقتبس وليام فى عدة مواضع من مؤلفات فيرجيل وأوفيد وشيشرون وغيرهم .

والمسائل الرئيسية التى نأخذها على تاريخ وليام خطؤه فى تحديد سنى الأحداث . حقيقة أن معظم الحوليات التى وضعت فى العصور الوسطى لم تسلم من هذا الخطأ ، الا أنه كان على نطاق كبير نسبياً فى تاريخ وليام . حقيقة

---

(١) William of Tyre, op. cit. vol. II, p. 146

انه كان دقيقاً فى الترتيب الزمنى للأحداث المتعلقة بموضوع واحد . الا أن مشكلته قامت عندما كان يكتب عن موضوعات مختلفة لا ارتباط بينها إلا التقارب الزمنى . ولابد أن بعض هذا الخطأ الذى وقع فيه وليام يرجع لعدم تلقيه فى الأصل التدريب المنظم للكتابة فى التاريخ . ومن أسباب ذلك أن وليام لم يعتد كما يبدو ، تحويل التقاويم المسيحية والهجرية التى جاءت فى المصادر المختلفة التى رجع اليها ، إلى نظام موحد. والظاهر انه لم يتبين ضرورة التوفيق بين التقاويم المختلفة إلا فى مرحلة متأخرة من حياته وذلك عندما أخذ يصنف تاريخه الكبير جامعاً بين كتابيه الأول والثانى وأجزاء من كتابه الثالث . وقد حاول بعض المؤرخين المتحمسين لوليام تبرئته من مسئولية هذا الخطأ ، مثل المؤرخ ستيفنسن الذى قال ان الحساب الزمنى الذى جاء فى تاريخ وليام إنما كان من وضع كاتب آخر فى فترة تالية (١) . ولكن بالاطلاع على ما جاء فى مقدمة هذا الكتاب التى وضعها وليام ، تتبين بشكل واضح مسئولية هذا المؤرخ عن خطئه المذكور .

ومهما يكن من أمر ، فإن كتاب وليام الذى اشتهر باسم «تاريخ الأعمال التى تمت فى بلاد ما وراء البحر» يشغل مركزاً رئيسياً بين المصادر اللاتينية التى وصلتنا عن تاريخ الحركة الصليبية . فهو المصدر الرئيسى عن العصر الممتد من سنة ١١٢٧ حتى سنة ١١٨٤ م . كما أنه بطريقته الخاصة فى معالجة تاريخ المرحلة السابقة على سنة ١١٢٧ قد أصبح ملحقاً هاماً للمصادر السابقة عليه . ولمقدمة هذا الكتاب التى وضعها وليام فى أخريات أيامه ، أهمية خاصة فى تقدير عمله كمؤرخ . فقد ضمن فى هذه المقدمة خلاصة تجربته فى كتابة التاريخ ووضح وليام فيها الصعاب التى تواجه المؤرخ وجسامة المسئولية الملقاة على عاتقه . ونص على ضرورة مراعاة الدقة والأمانة المطلقة فى أداء هذا العمل . وبالرغم من أسلوبه الأدبى الرفيع بالنسبة لكتاب عصره ، فقد شعر وليام بحساسية شديدة وخشى ألا يكون أسلوبه متناسباً مع أهمية الموضوعات

(1) W. B. Stevenson, The Crusaders In The East, Cambridge, 1907; pp. 361-71.

التى تصدى للكتابة عنها . كما بين فى هذه المقدمة البواعث التى دفعته على تصانيف هذا الكتاب ، من حبه لوطنه وحرصه على تسجيل أخباره وتجاربه لينتفع بها الخلف ، لرغبته فى تلبية طلب الملك عمورى . هذا وقد أشار وليام إلى مشكلة عدم توفر المصادر . ووضح كذلك النهج التاريخى الذى اتبعه فى وضع هذا الكتاب ، من حيث تقسيمه إلى أبواب ، والموضوعات التى تناولها . كما بين صعوبة مهمة المؤرخ حين لا يكون متفرغاً لعمله . وفيما يلى نقدم ترجمة كاملة لنص المقدمة المذكورة .

***

من وليام الذى أصبح بنعمة الرب ، خادم كنيسة صور المقدسة ، وهو غير مستأهل لذلك ، إلى الموقرين إخوته فى المسيح الذين قد يصلهم هذا الكتاب خلاصاً أبدياً فى الرب !

إن أى رجل حكيم لا يستطيع أن يشك فى أن الكتابة عن أعمال الملوك أمر شاق حافل بالمسئولية والاخطار . وإذا ما تغاضينا عما يتطلبه مثل هذا الواجب من العمل والمثابرة الدائبة واليقظة المستمرة فهناك لا محالة هوتان تقفران فيهما أمام كاتب التاريخ ، ولا يمكنه أن يتفادى هذه أو تلك إلا بكل صعوبة . ففى الوقت الذى يحاول فيه أن يهرب من كاريبديس ، فانه يقع فى مخالب سيلا ، التى تحيط بها كلا بها وتدرك تماماً كيف توقع بالمرء (١). فهو أما يثير غضب الكثيرين عليه ، بمتابعته طبيعة الانجازات البحتة ، أو أملا منه فى التخفيف من حدة السخط ، يلتزم الصمت حيال تتابع الأحداث ، ومن الواضح انه فى هذه الحالة الأخيرة لا يكون قد سلم من الوقوع فى الخطأ إذ أن من المسلم به تماماً أن التغاضى عن ذكر الحقيقة الواقعة للأحداث واخفاء الأمور عمداً ، أمر يتنافى وواجب المؤرخ . وإن فشل المرء فى واجبه خطأ بدون شك ، وذلك إذا ما حدد الواجب بأمانة بأنه : « تكييف مسلك

---

(١) كاريبديس Charybdis دوامة مائية خطيرة فى مضيق مسينا الذى يقع بين ايطاليا وصقلية. وتقف سيلا Scylla على صخرة خطيرة امامها . وسيلا هذه كما ترى الاساطير القديمة ، كانت حيوانا انثى له اثنتا عشرة ذراعا وست رقاب . وقد أعتبر القدامى كلا من كاريبديس وسيلا خطرا مهلكا .

كل فرد بما يتلاءم مع تقاليد بلاده ونظمها » . ولكن من ناحية أخرى ، فإن اقتفاء أثر الوقائع ، وعدم التغيير فيها أو عدم الحيد عن طريق الحقيقة لهو مسلك يؤدى دائماً إلى اثارة الغضب . فإن الحكمة القديمة تقول : «المجاراة تكسب الأصدقاء ، والصدق يستجلب الكراهية » وعلى ذلك كله ، فإن المؤرخين إما أن يقصروا فى واجب مهنتهم بإظهار المجاراة غير اللائقة بهم ، أو أنهم ببحثهم الجاد عن حقيقة الأمر يضطرون لتحمل الكراهية ، التى هى وليدة لذكر الحقيقة . وهكذا فمن الشائع جداً أن هذين الطريقين قد درجا على مقابلة الواحد منهما الآخر ، والتعادل فيما يتسببان فيه من المشاكل نتيجة لمتطلباتهما الضرورية .

وقد جاء فى كلمات شيشرونا : «قول الحق أمر مكدر لما ينجم عنه حقيقة من الكراهية التى تسم الصداقة . ولكن المجاراة أخطر فى جلب النوائب ، لأننا بالترفق فى معاملة الصديق ، نسمح له بالاندفاع نحو الهلكة (١) وهذه عاطفة تتغلب على المرء الذى يجانى مقتضيات الواجب ، فيخفى الحقائق من أجل أن يكون مجاملا .

أما أولئك الذين ينسجون الأكاذيب عمداً فى سجل تاريخهم وذلك رغبة منهم فى التملق ، فإن مسلكهم يعتبر أمراً بغيضاً ، ويجب الا يتسموا إلى طائفة المؤرخين . فإنه إذا كان من الخطأ والتقصير فى واجب الكاتب أن يخفى حقائق الانجازات الواقعة ، فمن المؤكد أنه لأقبح إثماً إذا لبس الزيف بالحق وألقى إلى الخالفين الذين يأتمنونه ما هو غير صحيح فى أساسه على أنه أمر حقيقى .

وفضلا عن هذه الصعاب ، فإن كاتب التاريخ تواجهه صعوبة أخرى مماثلة أو أشد مشقة ، وعليه أن يحاول تجنبها قدر الامكان . ونقصد بذلك أن أهمية الأحداث التاريخية قد تتعرض للتشويه بسبب سوء العرض والافتقار

---

(١) أنظر : Cicero, De Amic xxiv, 89

ومما يجدر بنا ملاحظته أن رجوع وليام الى كتابات شيشرون فى هذا الموضع وغيره من المواضع ، مما يدل على إلمامه بالأدب الكلاسيكى .

إلى البيان . وإن أسلوب المؤرخ يجب أن يكون على نفس المستوى العالى للأعمال التى يتصدى لها . هذا ويجب ألا تنزل لغة الكاتب وصفه عن أهمية موضوعه . ولذلك فإن مما نخشاه كثيراً ، أن يضعف سوء المعالجة أهمية الموضوع ، وقد تبدو الأعمال الهامة ذات القيمة الجوهرية غير ذات شأن وتافهة بسبب الخطأ فى عرضها . وكما لاحظ الخطيب المرموق فى الحوار الشكولى الأول : «ان تدوين الأفكار الانسانية دون القدرة على تنسيقها وعرضها بشكل واضح ، واجتذاب القارىء بأية طريقة مشوقة ، لهو عمل رجل جاهل يسىء إلى الأدب ، ولا يحسن استغلال وقت فراغه»(1).

ويبدو أننا وقعنا فى كتابنا هذا فى مخاطر وحيرة ذات جوانب متعددة لأننا أدرجنا فى هذه الدراسة التى نقوم بها الآن ، على ما يقتضيه تتبع الوقائع وتسلسلها ، كثيراً من التفاصيل عن صفات الملوك وسيرهم واتجاهاتهم الشخصية ، بغض النظر عما إذا كانت هذه الحقائق جيدة أو موضعاً للتجريح. ولقد يجد الخائفون لهؤلاء الملوك ، أثناء تصفحهم لهذا الكتاب ، صعوبة فى تقبل ما ورد به ، ويغضبون على المؤرخ فى موضع لا يلام عليه وسوف يعتبرونه كاذباً أو غيوراً . ولقد حاولنا تجنب التهمتين كلتيهما تجنب الضاعون ما دام الرب موجوداً .

وفيما عدا ذلك ، فلا ريب اننا جازفنا بالقيام بعمل يفوق استعدادنا بمراحل . وكان مستوى أسلوبنا لا يتناسب بأى حال مع أهمية الموضوع . الا اننا قد أنجزنا فى ذلك شيئاً ما . ونحن فى ذلك كالرسامين المبتدئين الذين لم يقفوا على أسرار الفن بعد ، والذين لا يسمح لهم غالباً إلا بمجرد وضع الخطوط الأولى للصورة واستعمال الألوان الأولية . ثم تضيف بعد ذلك يد رسام أكثر خبرة ، لمسات الجمال الأخيرة ، عن طريق استعمال ألوان أكثر رقياً . وهكذا ، فقد سلكنا بدقة طريق الحق ولم نحد عنه مطلقاً . ولقد

---

(1) Cicero, Tusculan Disputation, I, iii, 6,

أقمنا بجهد غير قليل ، الأمس قد يشيد عليها رجل آخر أكثر منا علماً ، بناء أدق إتقاناً بفضل براعته فى عمله .

وحيال هذا العديد من التعقيدات والأخطار الخافية التى تحيط بهذه المهمة ، كان من الأسلم جداً لو التزمت الصمت . وكان الأحرى أن أمسك لسانى وأجبر قلمى على السكوت . ولكن دفعنى إلى ذلك حبى الجارف لوطنى . فإن المرء ذا النزعات الوطنية يضحى بحياته فى سبيل وطنه حين يدعو داعى الزمن إلى ذلك . وأكرر أن الوطن استحثنى على ذلك . وبفضل ماله من سلطان ، فقد قضى أن تلك الأمور التى حققها فى نحو قرن من الزمان ، يجب ألا تدفن بهدوء أو يسمح لها بأن تدخل فى طى نسيان لا يليق بها ، بل وعلى العكس ، فقد أمرنى — الوطن — بالمحافظة عليها عن طريق المثابرة فى استعمال قلمى ، وذلك من أجل نفع الخلف . وبناء على ذلك ، فقد امتثلنا لمشيئته ، ووضعنا أيدينا فى عمل لا يليق بنا أن نرفضه . ونحن لا نأبه كثيراً بما يكون عليه نقد الخلف لنا ، أو ما يصدرونه من حكم على أسلوبنا الضعيف فى الكتابة أثناء معالجة هذا الموضوع المجيد . ولقد لبينا النداء حقاً ، ونرجوا أن تكون ثمرة عملنا نافعة بقدر ما صاحبه من حماسة ، كما نرجوا أن تكون جديرة بالثناء بقدر ما كرس لها من جهد . فقد اجتذبنا حب أرض وطننا فأقبلنا على هذا العمل ، على ما فى قدرتنا من نقص ، وما يتطلبه العمل من جهد ، وبدون الاعتماد على مساعدة أى مؤرخ نابه .

وفضلا عن هذه الحوافز ، فلقد أمرنى بذلك الملك عمورى الأول ، ذو الذكرى المجيدة وصاحب السجل المرموق فى خدمة الرب ، رحم الله روحه المقدسة . وإن هذا الأمر ، مع الأسباب الهامة الأخرى ، دفعنى على وضع هذا الكتاب . كما اننا قد ألفنا كتاباً آخر فى التاريخ ، بناء على رغبة الملك الذى أمدنا بالوثائق العربية اللازمة (١) . وكان مصدرنا الرئيسى فى هذا المصنف كتاب بطريرك الاسكندرية المبجل سعيد بن البطريق . وكتابنا

(١) يشير وليام هنا الى تاريخ « اعمال الامراء الشرقيين » .

هذا ، يبدأ من عهد النبي بالكذاب محمد ويمتد خلال خمسمائة وسبعين سنة حتى عامنا الحاضر وهو ١١٨٤ بعد ميلاد المسيح .

وعلى أية حال ، فلم يتوافر لدينا أى مصدر أغريقى أو عربى للاعتماد عليه فى مصنفنا الحالى (١) . وباستثناء بعض الوقائع التى عايناها بأنفسنا فقد إعتمدنا على الأحاديث المنقولة . وتبعنا الترتيب الزمنى للأحداث . ويبدأ كتابنا برحيل هؤلاء الرجال والقادة الشجعان المقربين للرب ، تلبية لنداءه ، وخروجهم من ممالك الغرب ، وانتزاعهم بأيديهم القوية أرض الميعاد ومعظم بلاد الشام . وبدءا من هذه النقطة نتبعنا التاريخ بكل أمانة لمدة أكثر من أربعة وثمانين عاماً ، حتى عهد بولدوين الرابع ، الذى يحتل المكان السابع فى قائمة الملوك ، إذا ما أدخلنا فى الاعتبار الدوق جودفرى ، الذى بدأ الحكم هناك بلقب دوق . ولكى نيسر على من يريد أن يحصل على معلومات أكثر شمولا عن حالة البلاد الشرقية ، فقد بينا فى مطلع كتابنا فى إيجاز ، أوضاعها وهى تحت نير العبودية وما تحملته من آلام مبرحة . ووصفنا كذلك أحوال المؤمنين - المسيحيين - الذين أقاموا فى هذا الحين بين الكفرة فى هذه البلاد ، ثم ما حدث عقب ذلك . فبعد تلك المرحلة الطويلة من العبودية أيقظت هذه الأوضاع أمراء ممالك الغرب ليضطلعوا بمهمة الحج بغرض تحرير اخوتهم (٢) .

وإذا كان للقارىء أن يقدر ما ألقى على عاتقنا من أعباء ، لتبين له أننا ننوء بالمسئوليات العديدة . فأولا علينا مسئولية كبيرة تمثلة فى مهام كنيسة صور الشهيرة القائمة تحت رعاية الرب ، والتى وقع الاختيار علينا لرئاستها ، بنعمة الرب ، لا بفضل جدارتنا . وعلينا ثانياً عبء خدمة مولانا الملك الذى تشغل فى قصره المقدس منصب المستشار . وهناك كذلك مشاكل أخرى عاجلة تظهر من وقت إلى آخر وتتطلب منا الاهتمام . وإذا ما كانت هذه الحقائق

---

(١) يقصد المؤرخ وليام بهذا الصنف تاريخ الأعمال التى تمت فى بلاد ما وراء البحر .

(٢) هذه حالة من الحالات العديدة التى أشار فيها المؤرخون الغربيون المعاصرون الى الحملات الصليبية باسم الحج .

موضع اعتبار ، فيجدر بالقارىء ، بل ويحق له ، أن يكون أكثر ميلا للتسامح معنا إذا ما وجد فى هذا الكتاب ما يؤاخذنا عليه . فإن المرء عندما يكون منشغلا بمسائل كثيرة متباينة ، يتعذر على ذهنه أن يواجه كلا منها ويمعن الفكر فيها بنفس القوة والاهتمام . ومن المحال أن يكرس المرء جهداً كبيراً لكل موضوع حين يكون الاهتمام مشتتاً على هذا النحو . هذا غير الحال التى يكون فيها النشاط الفكرى مخصصاً كلية لأمر واحد . وفى مثل هذه الظروف ، لا يكون كثيراً على المرء أن يكون حقيقاً بالصفح .

ولقد قسمنا المصنف إلى ثلاثة وعشرين كتاباً ، وكلا من هذه الكتب إلى عدد معين من الفصول حتى يسهل على القارىء الحصول على ما يبحث عنه فى أجزائه المختلفة . وفى عزمنا ، إذا قدر الرب لنا البقاء ، أن نضيف من وقت لآخر ، إلى ما كتب من قبل ، الأحداث المعاصرة التى قد تبرز أهميتها تطورات المستقبل . وسوف نزيد كذلك فى عدد الكتب بحكم ما قد يقتضيه حجم مادة الموضوع .

ونعتقد ، ونحن غير مخطئين فى اعتقادنا ، أن هذا الكتاب ، يشهد على عدم خبرتنا . فإننا عند تدوينه ، رغبة فى اطاعة ما تمليه العاطفة ، أظهرنا من النقائص ما كان من المحتمل أن يبقى خافياً ، لو أننا التزمنا الصمت . ومهما يكن من أمر ، فإننا نؤثر أن نبدو مفتقرين إلى ما يجلب الاطراء بدل أن نقصر فى خدمة العلم . وأن كثيرين ممن يأتون إلى العرس ، دون أن يتحلوا بالصفة الأولى ، يعتبرون أهلا للجلوس إلى مائدة الملك . ولكن أولئك الذين يحضرون بين الضيوف دون أن تتوافر لهم الصفة الأخرى ، فإن عليهم أن يسمعوا الكلمات الآتية : «كيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس» (١) ولعل الرب القادر وحده على أن يمنح ذلك برحمته الكريمة ، يحول دون وقوعنا فى هذا المصير .

---

(١) اختلط ولهام هذه العبارة من الانجيل فى موضوع استكمال شرائط الايمان الحقيقى . انظر ، متى ٢٢ : ١٢ .

ومهما يكن من أمر ، فنحن ندرك جيداً أن الخطأ قرين دائم للازمة الاطناب ، وأن لسان العبد المسكين الذى يكتبه فى الذنب . وعلى ذلك ، فإننا بروح المحبة الأخوية ، ندعو قارىء كتابنا ونسمحه باسم المسيح ، أنه إذا وجد نقطة جديرة بالنقد ، ألا يتردد فى نقدها ولكن برحمة حقيقية . فهو بتصحيح خطيئتنا سوف ينال لنفسه ثواب حياة خالدة (١) .

ولعل — القارىء — يذكرنا فى صلواته ، وبذلك يحقق لنا شفاعة عند المسيح ، حتى أننا كلما وقعنا فى خطأ فى هذا الكتاب لم يوردنا ذلك مورد الهلاك . ولعل مخلص العالم — المسيح — بفضل إحسانه الوفير ، ورحمته التى لا تغفل ، يغفر لنا بكرمه . فإننا كخادم بائس وغير ذى نفع فى بيته نشعر بالخلاج ضميرنا فى لومنا ، ونحن محقرون فى الخوف من حساب الرب .

---

(١) اعتراف وليام هنا باحتمال وقوعه فى الخطأ أثناء كتابته ، مايشهد بخصائصه كما لم ؟ وهذا أمر غير شائع لدى الكتاب الاوروبيين فى العصور الوسطى . بل ان المؤرخ جريجورى التورى قد استنزل اللعنة على كل من يغير ولو سطرا واحد فى تاريخه .